أم عامر

رضي الله عنها

obeikandl.com

obeikandl.com

أم عامر

قال لي ولدي: ومن التي بشرت بالجنة أيضاً يا أبي؟

قلت: إنها أم عامر واسمها فُكَيْهَة ويقال: أسماء والدها يزيد بن السكن وأمها أم سعد بنت خزيم، وكلا والديها من بني عبد الأشهل، أنصار المدينة، وكان الصحابي الجليل معاذ بن جبل ابن عمها، وكانت لها كنيتان: أم عامر، وأم سلمة.

قال: متى أسلمت أم عامر يا أبي؟

قلت: أسلمت أم عامر مع أوائل الأنصار الذين دخلوا دار أبي أمامة أسعد بن زرارة الذي استضاف في منزله سفير رسول الله ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة ليعلِّم أهلها أركان الإسلام ويتلو فيهم القرآن، وكان أهل المدينة يسمونه مصعب الخير لما حمله من خير إليهم، فخرجوا به من الظلمات إلى النور بإذن الله العزيز الحكيم.

كانت أسماء تتمتع بذكاء فذّ وعقل راجح، ولسان فصيح حتى أطلقوا عليها بحق خطيبة النساء.

وقد مكَّنها ذكاؤها وفصاحتها، من حفظ ما تسمع من آيات القرآن، وحديث رسول الرحمٰن، جزاه الله عن أمة الإسلام خير ما جزى به نبياً عن أمته، وبلغنا ما نتمناه ـ في الآخرة ـ من شفاعته وأَهَّلَها جِدُّها واجتهادها لتكون راوية لحديث رسول

الله ﷺ، كما روى عنها الحديث عدد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كمهاجر بن أبي مسلم وكان مولًى لها، وابن أخيها محمود بن عمرو الأنصاري، وشهر بن حوشب الذي كان يُعَدُّ أكثر الناس رواية عن أم عامر.

قال: متى التقت أسماء برسول الله ﷺ يا أبي؟

قلت: كان لقاؤها لأول مرة برسول الله ﷺ يوم بيعة النساء الأنصاريات له ﷺ، وكانت تتردد على زيارة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحضور رسول الله ﷺ أو بغيابه، وكانت تلك الزيارات تزيد محصِّلتها العلمية، وتمد معلوماتها الفقهية بمددٍ جديد.

وكانت نساء الأنصار، وفيهن أم عامر لا يجدن حرجاً في السؤال عن أمور فيها بعض الحرج للنساء، وقد سألت أم عامر رسول الله ﷺ ـ بحضور السيدة عائشة ـ عن طريقة التطهر من الحيض وألحت على رسول الله ﷺ بالأسئلة في هذا الشأن، وكان هدفها أن تتعلم ثم تعلم أخواتها وصواحبها المؤمنات أمور دينهن، وكان سلوكها موضع إعجاب أم المؤمنين ـ عائشة رضي الله عنها ـ بها وبنساء الأنصار حتى قالت فيهن:

نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه.

ولا شك أن في قول أم المؤمنين امتداحاً لأسماء وأخواتها، وتشجيعاً لمن يردن أن يَعينَ أمور دينهن، ويَكُنَّ من أحكامه على بصيرةٍ وهُدىً.

وكانت علاقة أم عامر بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطيدة؛

لأن أم عامر تشرفت مع بعض الصحابيات الأنصاريات بحضور زفاف عائشة، وهاهي ذي أم عامر تروي ما جرى في ذلك اليوم الأغر، فتقول:

إني قَيَّنْت ـ زيَّنت ـ عائشة ﵂ لرسول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لخلوتها، فجاء فجلس إلى جانبها، فأُتِيَ بعُسٍّ لبن ـ أي: قدح ـ فشرب، ثم ناولها النبي ﷺ، فخفضت رأسها، واستحيت.

قالت أسماء أم عامر: فانتهرتها وقلت لها: خذي من يد النبي ﷺ، قالت: فأخذت فشربت شيئاً، ثم قال النبي ﷺ: «**أعطي تِرْبَكِ**».

قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله، بل خذه فاشرب منه، ثم ناولنيه من يدك، فأخذه فشرب منه ثم ناولنيه.

قال: فجلست ثم وضعته على ركبتي ثم طفقت أديره وأتبعه بشفتي لأصيب منه مشرب النبي ﷺ ـ أي: لتتبرك بموضع شربه ﷺ ـ ثم قال لنسوة عندي: ناوليهن، فقلن: لا نشتهيه، فقال النبي ﷺ: «**لا تجمعن جوعاً وكذباً**».

قال ولدي: ألا تحدثني يا أبي عن كرم أسماء بنت يزيد ﵂؟

قلت: بلى يا بني، واعلم أن الكرم شيمة أصيلة في الأنصار عامَّةً، وما أظنك قد نسيت نقيبهم الشهيد سعد بن الربيع الذي آخى بينه وبين أحد المهاجرين، وهو عبد الرحمٰن بن عوف رسولُ الله ﷺ، يوم آخى بين المهاجرين إلى المدينة وبين الأنصار، حين عرض سعد على عبد الرحمٰن نصف ماله وأن يطلق إحدى زوجتيه

ليتزوجها بعد انتهاء عدتها، وشكر له عبد الرحمٰن نبله وكرمه، وسأله أن يدله على السوق ليبيع ويشتري، فقد أبى أن يكون عالةً على أحد مع قدرته على السعي.

وقد أورد ابن سعد في طبقاته ما روي عن كرم أم عامر فقال:

عن أبي سفيان عن أم عامر أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: رأيت رسول الله ﷺ، صلى في مسجدنا المغرب فجئت منزلي فجئته بعَرْقٍ ـ وهو عظم عليه اللحم ـ وأرغفة، فقلت: بأبي وأمي تَعَشَّ، فقال لأصحابه: «**كلوا باسم الله**»، فأكل هو وأصحابه الذين جاؤوا معه، ومن كان حاضراً من أهل الدار، فوالذي نفسي بيده لرأيت بعض العَرْق لم يتعرَّقْه وعامة الخبز، وإن القوم أربعون رجلاً، ثم شرب من ماء عندي في شَجْب ـ أي: قربة ـ ثم انصرف، فأخذت ذلك الشجب فدهنته وطويته، فكنا نسقي منه المريض، ونشرب منه في الحين رجاء البركة.

إن احتفاظ الصحابة والصحابيات ببعض الآثار التي لمسها رسول الله ﷺ بيديه أو بشفتيه كان مبعثه التبرك بتلك الآثار وتعظيم صاحبها فقد زار رسول الله ﷺ أم سليم، أم أنس بن مالك رضي الله عنه وعنها، فرأى قربة ماء معلقة على الجدار، فأخذها وشرب منها، فقامت أم سليم إلى القربة وقطعت فمها واحتفظت به للبركة من آثار فمه الشريف ﷺ وما أكثر قصص تكثير الطعام، وإفاضة اللبن والماء التي كان الصحابة يرون أنها لا تكفي الرجلين أو الثلاثة، فإذا هي تكفي بضع مئات منهم، وما ذاك إلا ببركة رسول الله ﷺ التي أكرمه الله بها، وقد حفظت كتب السيرة النبوية وسيرة أصحابه الكرام لنا هاتيك القصص، وكلها ثابتة بما لا يدع الشك يتطرق إليها ولا الارتياب.

قال: ليتك تحدثني عن جهاد أم عامر يا أبي!

قلت: بكل سرور يا بني، كانت طاعة الله، ومرضاة رسوله ﷺ هاجس الصحابة عامَّةً والأنصار خاصَّةً، وكان التنافس بينهم للوصول إلى ذلك شديداً، غير أن الأسرة التي ترعرعت فيها أسماء، كانت مغرمة بالجهاد إلى حد بعيد، فما إن ينادي منادي رسول الله ﷺ بذلك حتى يسارع أفراد أسرتها لتلبية النداء.

ويوم وزعت أوسمة الشهادة على العديد من أصحاب رسول الله ﷺ في معركة «أُحُد» فازت أسرة أسماء بالنصيب الأوفى منها، فقد استشهد والدها: يزيد بن السكن، وأخوها عامر بن يزيد بن السكن، ولما جرح وجه رسول الله ﷺ الشريف وشقت شفته وكسرت رباعيته وسال الدم على خديه قال: «**من رجل يبيع لنا نفسه؟**»

فهبَّ عدد من أشبال الأنصار، وقاتلوا دون رسول الله ﷺ، حتى أكرمهم الله سبحانه وتعالى بالشهادة، دفاعاً عن دينه، وعن رسوله ﷺ.

وحين طعن عمها زياد بن السكن، أسرع إليه نفر من المسلمين يقاتلون دونه فأبعدوا العدو عنه، وجراحه تنزف بشدة، ونظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال له:

«**ادْنُ مني**»، فلما دنا وَسَّدَهُ النبي ﷺ قَدَمَهُ الشريفة، فلم يلبث إلا قليلاً حتى فارق الحياة.

ثم نظروا في القتلى، فوجدوا عمارة بن زياد بن السكن، وهو ابن عم أسماء شهيداً وفي جسده أربعة عشر جرحاً.

وخرجت أم عامر مع بعض الصحابيات يتقصَّين أخبار القتال، فقيل لأم عامر: لقد استشهد أبوك وأخوك وعمك وابن عمك، فقالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟

فقالوا لها: إنه بخير والحمد لله.

فقالت: دلوني عليه حتى أنظر إليه، فدلُّوها، فلما بصرت به سالماً قالت: كل مصيبة بعدك جَلَلٌ - أي: هينة - يا رسول الله.

إن من فقدتهم أسماء في «أحُد» كلهم عزيز عليها، لكن كان رسول الله ﷺ هو الأعز، وهو الأغلى على الصحابة أكثر من الأهل والولد والمال، ولما نعي لأم سعد بن معاذ رضي الله عنهما ولدها عمرو، رأت رسول الله ﷺ فقالت له: أما إذ رأيتُك سالماً فقد هانت المصيبة، فقال لها رسول الله ﷺ: «**يا أم سعد، أبشري وبشري أهليهم أن قتلاهم قد ترافقوا في الجنة جميعاً وقد شفعوا في أهليهم**».

قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟

ثم قالت: ادعُ يا رسول الله لمن خُلِّفوا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخَلَفَ على من خُلّفوا**».

وخرجت أم عامر يوم الخندق، وقدمت لرسول الله ﷺ وللمسلمين الطعام، وحضرت «الحديبية»، واشتركت مع ألف وأربعمائة من المؤمنين في مبايعة رسول الله ﷺ «بيعة الرضوان»، وتلقت البشرى من رسول الله ﷺ حين قال: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**».

فهنيئاً لأم عامر ولأم سعد، ولمن حضر بدراً والحديبية

واستشهد بما أعد الله للشهداء وأهليهم في الجنة، ما لا عين رأت ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، لم تكف أم عامر عن مسيرة الجهاد التي بدأتها، فانطلقت مع سيف الله خالد بن الوليد إلى «اليرموك» لقتال الروم.

لقد لقي الروم من جنود الإسلام أروع أمثلة البطولة، وأعظم صور الشجاعة، ولم تكن تلك الأمثلة والصور قاصرة على المقاتلين من الرجال، بل كانت أسماء في ذلك اليوم المشهود، تضرب أعظم مثال في الإقدام، فاخترقت صفوف أعداء الله والدين، وقتلت تسعة من جنود الروم، وهاهو ذا ابن حجر يحدثنا فيقول: أم سلمة الأنصارية ـ وهي نفسها أم عامر ـ أسماء بنت يزيد بن السكن، شهدت اليرموك، وقتلت يومئذٍ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهراً.

حقاً! إن ما فعلته أسماء لم يتمكن كثير من الرجال الشجعان من فعله، وستظل المكرمة التي حصلت عليها أم عامر يوم «اليرموك» راسخة في ذاكرة الزمان حتى يجزيها الله عنها خير الجزاء.

قال ولدي: لقد ذكرت لي يا أبي أن أسماء كانت تدعى خطيبة النساء! فهلا حدثتني عن هذا الأمر! ومتى كان ذلك؟

قلت: لقد أهّلتها فصاحتها وذكاؤها ونصرتها للحق لأن تحصل على هذا اللقب، وتكون رسولَ النساء إلى رسول الله ﷺ وتخطُب أمامه بحضور جمهرة من الصحابة الكرام، وقد ورد في كتب السيرة أنه بينما كان رسول الله ﷺ في أحد مجالسه مع

أصحابه رضوان الله عليهم، أتت أسماء بنت يزيد وقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني رسولُ مَنْ ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن قولي، وعلى مثل رأيي.

إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فُضِّلُوا بالجمعة والجماعات، وشهود الجنائز والجهاد في سبيل الله، وإذا خرجوا إلى الجهاد، حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟

فقالوا: ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا يا رسول الله.

ثم التفت رسول الله ﷺ إليها وقال: «**انصرفي يا أسماء وأعلمي مَن وراءك من الناس أن حسن تَبَعُّلِ إحداكُنَّ لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته، يعدل كل ما ذكرت للرجال**».

وانصرفت أسماء من مجلس رسول الله ﷺ وهي تقول: الله أكبر، لا إلٰه إلاّ الله، محمد رسول الله، واطمأنت نفسها إلى مقال رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولما نقلت إلى صواحبها ما قالت لرسول الله ﷺ، وما أجابها به سُرِرنَ سروراً عظيماً، وازددن ثقة واطمئناناً بعدالة الإسلام الذي اعتنقنه، وأدركن أن لا شرعة كرمت المرأة وأعطتها حقوقها وأنصفتها وجعلتها سيدة مصونة محترمة مثل

شريعة الإسلام.

وتروي أم عامر موقفاً آخر لها مع رسول الله ﷺ فتقول: مرَّ بي النبي ﷺ وأنا في جوارٍ أترابٍ لي، فسلم علينا وقال: «**إياكن وكفر المنعمين**»، وكنت من أجرئهن على مسألته فقلت: يا رسول الله، وما كفران المنعمين؟

قال: «**لعل إحداكن تطول أيمتها بين أبويها - أي: بلا زوج - ثم يرزقها الله زوجاً، ويرزقها منه ولداً، فتغضب، فتكفر، فتقول: ما رأيت منك خيراً قط**».

وقد أراد رسول الله ﷺ أن يوجه عناية النساء إلى أن حق الزوج على زوجه عظيم، وأن يحثهن على رعاية ذلك الحق، حتى إنه قال:

«**لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**».

وعاشت أم عامر مطيعة لربها ولرسوله ﷺ ملتزمة بحكم القرآن، وقد أخرج البيهقي في سننه وابن أبي حاتم أن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري قالت: طلقتُ على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله حين طلقت العدة للطلاق: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فكانت أول مطلقة أنزلت فيها العدة.

وفي عهد «يزيد بن معاوية» وافى أم عامر الأجل، وذهبت إلى لقاء وجه ربها راضية مرضية.

وقد دفنت في دمشق بمقبرة باب الصغير، رحم الله المؤمنة الصالحة الخطيبة المحدثة الراوية، وأحسن نزلها في جنة النعيم.